الوشم لغة صامتة في الوسط العقابي

عبد الوهاب باشا*

هكذا سحر الخارجين عن القانون، يتشابهون في أجسامهم التي يُعيد السّجن صوغها، لتُصبح وثيقة تاريخية سردية النص الحكائي في تمثُلها لصورة وشمية جسدية آدمية تحكي قصة سجين.

نصُوغ هنا تأليفة مُجردة لما يُمكن أن يُمثل عناصر مشتركة بين مختلف المساجين اللذين تقاطعت معهم هذه الدراسة في صورها الوشمية على الأجساد المتشابهة ثقافياً، لنبني نَمطاً مِثالياً لِمرتادي السُجون في الجزائر، نصفهُ من الواقع و نصفه الثاني تحريد الباحث لهذا الواقع

إذن كيف الحديث عن جسد الخارج عن القانون بما وراء الجسد ؟

بما هو رمز أو علامة أو صورة وشمية ماثلة عليه ؟

يتَوَلدُ من خلالها معنى يُترجم قصة سجين ؟

إنّ هذا الكائن الحسي الآدمي، السّجين، الذي يُعرَف بِدءً بما يظهر على جسدهِ، عن طريق الحواس الجسدية يُخفي قِوى أبعد منها بفعل التخييل والكتابة الوشمية لتشكيل غرافيتا جلدية آدمية، كأن تتفاعل هذه الحواس في منظومة دلالية والدة للمعنى، تُداخِل بين الإبصار والسمع وحاسة اللمس والذوق والشّم الحدسي أحياناً، لترجمة مكنونات الجسد في شكل صورة وشمية حكائية رُسِمت بالكتابة الجارحة بالنقاط، مع كل نقطة، مع كل وخزة إبرة على الأدمة، تنزف قطرة دم، فيها مُتنفس لراحة النّفس، إنّهم يخدعون الألم والأوجاع بالمشاعر كتدبير وقائي ضد الضّعف .

الوشم علامات ورموز يتواصل من خلالها المساجين بِلُغة صامتة لا يفهمها غيرهم، والوشم بَداهةً بما هو معلوم عليه، كِتابة جارحة بالنقاط، والنقطة في تعبيرها بفعل وخزة إبرة على الأدمة لدى السجين، مدخل تجريبي يُقدّر من خلاله مدى قدرته على التّحمُّل من عدَمِهِ، فإمّا أن يَمضِي في الخيَار والتجربة وإمّا أن يعدِلَ عنها .

* أستاذ(ة): صفاقس تونس

مع كل نقطة مَوشومة ومع كل وخزة إبرة إعلان ضد الضّعف، مع كل ألم لعنة ضد الحاكم الظالم، مع كل تَحمّل تَمرد على سلطة القانون، مع كل وشمة إشهار الولاء للإنخراط في العصيان والإنحراف، فعالم السجن له قيمة ومعاييره ونظامه الاجتماعي الخاص .

في زمن العبودية منذ القِدم كان الانسان يُفرقُ بين المملوك والسيد بعلامات وشمية توضعُ على الكتف أو وراء الرقبة تحت الشعر الكثيف، وكان الإنتماء القبلي أو الطائفي يُعرف من خلال الوسم* على أمكنة مختلفة في الجسد أو الجرح والتشريط على أماكن في الوجه لدى قبائل إفريقيا السود لغرض تحديد صفة الانتماء القبلي .

وفي العصر الحديث خلال الحرب العالمية الثانية لم يكن إستعمال الوشم في الوسط العقابي من إبتكار المساجين، بل إدارة السجون هي مَن أدخلت الوشم كعلامة على أجساد المساجين، يتم كتابة الرقم التسلسلي لكل مسجون بطريقة ثقب جلد السجين على الجزء العلوي الأيسر من كتفه ويتم حك الجرح أثناء خروج الدم بالحبر لتعريف هوية المساجين .

قام " ألفونس بيرتون " بعد الحرب العالمية الثانية بتقنين إستعمال الوشم رسمياً من طرف إدارة السجون، توضع علامة وشمية مُحددة على جسد السجين لغاية تعريف وتحديد هوية الأشخاص العقابية، كان نوع الوشم الذي تستعمله الإدارة العقابية يُحدد نوعية السجين ودرجة إجرامه، فأصبح جلد السجين بمثابة وثيقة إثبات وإنتماء الى الوسط العقابي حتى خارج السجن .

وفي الجزائر تقوم إدارة السجون بمحاربة الوشم بإعتباره تشويه للجسد وتُسارع إدارة كل سجن الى تسجيل كل الوشمات القديمة (العدد و الأنواع) عند دخول أي مُوشِم الى السجن وكذلك تلك التي يكون قد أضافها خلال تَواجُدِهِ بالسجن في سجل خاص للتعرف على هوية كل مُوشِم في حالات شتى مثل الفرار ووقوع الالتباسات[1] وتعاقب الإدارة العقابية الجزائرية كل من الواشم والموشِم في حالة التحقق من فعل الوشم[2].

* الوسم : القيام بعملية كي الجلد لتوصيف علامة دالة على إنتماء قبلي أو عرقي .

توصيف يبني من الشَتَات مثالاً :

نصوغُ هنا تأليفة من جُهد بنائي مُركب من توصيف إثنوغرافي للنمط المثالي للسجين، لَبناته تتمفصل فيما بينها لبلوغ الواقع الميداني الذي وقفنا عليه أثناء دراستنا مع 50 سجين مَبحوث لم نتمكن من مقابلتهم داخل السجن بعذر عدم الحصول على الترخيص كوننا نُزاول دراستنا في جامعة تونسية وليس لدينا توجيه من جامعة جزائرية، فأضطررنا لإجراء مقابلاتنا مع أشخاص حديثي عهد بالوسط العقابي.

لقد تحدث الإيطالي " لمبروزو " عن المجرم بالولادة أو بالفطرة في كتاب سمّاه الانسان المجرم، بحث في العناصر الطبيعية، الوراثية، للمجرم؛ وبيّن ما يعتبرهُ عناصر التخلُف الحضاري للمجرمين بالفطرة، بل إنّ الجُهد هنا لا يعدو أن يكون بحثاً في العناصر التركيبية الاجتماعية والنفسية المشتركة بين السجناء على إختلافهم .

إنّنا نُحاول هنا في هذا النمط المثالي للسجين الموشوم، أن نقوم بعمل تركيبي يبني من الشتات مثالاً يترصد فيه حلقة الفضاء المعاش بعد ملاحظة وتمييز وجرد وتصنيف .

السجين المثال في هذا البحث شاب بجسد موشوم، ناضج البنية في تجلّيه، مُدمِن أو مروِّج في درجة أولى، وسارق في درجة ثانية، وقاتل سفاح في درجة ثالثة، ومُهرب الممنوع في مرحلة رابعة، ومُغتصب أو مُواقع في درجة خامسة، وإرهابي عنيف في درجة سادسة، فَيُسلبُ الحرية، ويُقصى لذلك إجتماعياً، فلا يملك أدنى إمكانية لإختيار نمط حياتهِ بل يعيش تحت رحمة السجّان بالكامل، لا إتصال؛ لا تبادل إجتماعي مع الخارج، تُسحق فيه الرغبة الفردية، يفتقدُ معنى الشخصية والمِلكية، يتخلى بالتدريج عن ثقافته الخاصة بين جدران الزنزانة، ينصهر بالتدريج ويذوب في ثقافة الوسط العقابي، جاهل بالقوانين في أول عهده بالقضاء، خبير خبرة عملية بمسالك التحايل عليه بعد فترة من الحياة مع السّجناء، مُرهق لشدة الفراغ، ضيق حد الانفجار، أثقَلهُ ضيق المكان و إتّساع الزمان، تشابهت مفرداتُه بلُغة رفيق السجن، يرى نفسه دائماً ضحية وضع ما خارج عن إرادته، وغالباً ما يرتبط هذا الوضع بتقصير في سلامة الاجراءات العدلية[5]. نفسٌ يُحاول الصبر أن يصقُلها وجسد ضيق لا يمتلِكُهُ صاحبهُ، هذا الجسد سبب رَميته في غياهب السّجون، فيُحاول تطويع جسده بعلامات الجرح

والوسم والوشم . والوشم أكبر قُدرة على تصوير مُعاناته، إنّه تعبير ساخط بالجسد، تعبير يقيم حرباً إنفعالية على عدالة ظالمة رمت به في ظُلُمات ثلاث، ظُلمة المجتمع وظُلمة إدارة السجون وظُلمة الوسط العقابي المشترك.

تُساعد قصص السجناء بسردياتها على الإمساك ببعض المشترك فيها لشدة الشبَه، إنّها تكاد تكون واحدة، تداخلت سِيَرُهم ببعضها فتصاهرت لكثرة ما تداولوها فيما بينهم، يُشبِعونها قِيماً من رجولة وأنفة لينتصروا بها على خطرِ السجن والسّجَان . إنهم يخدعون الأوجاع بالمشاعر كتدبير مُقاوِم من أجل البقاء .

الوشم ملاذ السجين، خِطاب مُشترك لأعظمية 50 سجين قابلتهُم، كتابة جارحة بالنقاط، مع كل نُقطة، تنزِف قطرة دم، تروي حكاية في صورتها الوشمية تُقارع بها سُنُون النّسيان .

طقس العبور الى دائرة الوسط العقابي :

إنّ الجسد مقولة مركزية في البحث عن الصفات العميقة للكائن، ولأن الجسد حسّي و دَالٌ أيضاً بما هو أبعد من حِسّيته فهو مجال التفكير في المتعدد النسبي المتناقض أحياناً، كأن يُبخس ويُقدس في ذات الحين، والدليل على هذه المفارقة تحويله الى قيمة شِبه مُطلقة ثم تغييب جسديته كي يظل لمدة من الزمان ذاك المِنسي أو المتناسي السجين بين جُدران زنزانة أو في دائرة مُغلقة من الوسط العقابي، ويتجاذبُه التقديس أحياناً عند إستخدامه كجسد حافظ للتراث الشعبي بجسدِيتهِ الموشومة، أو آن سيرورته الى جُثمان هامِد من دون ما حياة .

إنّ إقتدار الجسد؛ وأيُ جسد ؟ إنّه جسد ذاك السجين المِنسي؛ إقتدارهِ على السرد الحكائي واللّعب باللّغة الوشمية وفي اللّغة الوشمية ذاتها، هو الذي يُكسِب الجسد أهم صفاتِهِ الجسدية، كأن يُستثمر مُجمل حواسّه لممارسة فعل الكلام الوشمي والتفكير والتّخييل بِدافع مُغالبة النّسيان والتّغييب معاً في جوهر الكيان وذات الكائن .

إنّ سِحر أنامِل الواشم في الفضاء العقابي تَستهوي الأجساد لِتُصبح طَيّعة للدخول في ثقافة الدائرة العقابية وفق طقس العبور بآليات العملية الوشمية، فالوشم كتابة جارحة بالنقاط، وبوجهٍ آخر هو عبارة عن رُسومات تُنقشُ على الجسم بغَرزِ الإبر لإحداث ثقوب في طبقات الجلد، بداية يُختار نموذج الوشم، إمّا من إبداع الواشم أو من خيال الموشوم وإختصاره في

قصة أو حكاية أو تعبير في شكل رمز أو صورة، ثم تأتي بعدها الرّسمة على المكان الجسدي المختار للوشمة، ومن ورائها تدخُل الإبرة في ثقوب الأدمة الجلدية فتُدخِلُ معها المواد الصبغية الملونة* في الطبقة السفلية للجلد وبدقة مُتناهية في الخِفة وسحر الكتابة الوشمية لتنتهي برَسمة وشمية مُختارة، دائمة مُتعلقة بالجسد تَعلُق هذا الأخير بالحياة .

طقس العبور الى جسد سجين موشوم بحتمية الألم والدم؛ ألم يُقارعُ الضّعف ودمٌ يُبشِر بولادة أُخرى من جديد في ثوب جسدٍ آدمي موشوم .

حالة وجدانية غريبة في رحاب الطقس الوشمي للواشم والموشوم، فأمّا الواشم فلا يمكنه أن يَدُقَ الوشم في أي وقت، فهو تحت رحمة قريحتهِ ورحمة لهفة الفعل الواشم، إنفعال يُصاحبه إبداع المحترف لهندسة الرّسمة، إنفعال وتوتر لا يشعُر بالراحة منه إلاّ عند مُثول جسد الموشوم بين يديه، فخروج الدم إنتعاش لنفسية الواشم؛ إنغماس الإبرة بيد الواشم في أدمةِ الموشوم بمثابة طقس التلاقح بين الأجساد؛ إنّ هذا التلامس بين أدمتين يُلبِي رغبة الواشم في إفراغ توتر وكَبت داخلي يتنفسُ به في شكل وشمة .

وأمّا الموشِم فيشعُر قُبيل الطقس الوشمي بِحنين لشيء ما لمكانٍ ما لشخصٍ ما، شيءٌ ما ينقصُهُ يبحثُ عنه حتى يجده، إنّهُ إنتظار بكل شغف وقت بروز الوشم فوق الجسد؛ يُقدِمُ جسدهُ عارياً بين أنامِلِ الواشم كَقُربانٍ في طقس عبور لثقافة دائرة الوسط العقابي؛ يُغمضُ عينيهِ وينزوي بروحهِ الى الخيالات والهوامات والأفكار لأجلِ الإبتعاد عن حالة الألم أو التقليل من وطأتِها، وكأنّهُ في حوار صامت ولكن ساخِن مع جسدهِ الذي سيكون بعد الوشم نائباً عنه في مُخاطبة الآخرين، وإذا لم يسبِق له أن نقش على جِسمهِ وَشماً ويخاف الدق أو الضرب بالإبرة فإنّه يشُدُ يَد أحد المساجين ويزيدُ في الشّد كُلما إشتد عليه الألم أو يعضُ على يَديهِ كي لا يصرُخ لأن ذلك من مُستوجَبات طقس العبور، فيجلُب إنتباه السّجان فيقف على الممنوع وتنفضُ الجلسة الوشمية بترانيمها الوشمية ومنها لزومُ الصمت والمسموحُ منه يتوقفُ عند الهمس؛ غير أن الحالة الوجدانية والحالة العقلية التي يكون عليها

* المواد الصبغية الملونة : مواد كيماوية أو طبيعية و أقدمها إستعمالاً الرماد و مسحوق الآجر والقرميد، وأما في الوسط العقابي و نزولاً عند الممنوع فالسجين يستعمل بقايا السجائر المتفحمة .

الموشِم عادة تلعبُ دوراً مُناهضاً للألم فقد تُقلِلُ من الإحساس به أو قد تُلغيه نهائياً أو تجعله مُحبباً ومصحوباً بالتلذّذ وهنا يكتسي الألم معنى خاصاً بالموشِم[6].

هكذا يكون حوار الأجساد مع الطقس الوشمي لذلك قد يتفننُ الواخِزُ في وخزِهِ ويتلذذُ بذلك وقد يتبادل اللّذة مع الراضخ بين يديه .

توحيد العلامات الوشمية :

إنّ توحيد العلامة و الرمز في الكتابة الوشمية ضربٌ من إقرار لُغة للخطاب على وثيقة الجسد؛ توحيد الرمز والعلامة عند المساجين كمفهوم للخطاب يجعل تشابه الأجساد في صورها الوشمية تُرجمان للبُعد النفسي والعقلي للسجين .

هكذا يُعبّر السجين عن كوامنِهِ بالوشم بما هو كتابة مُشفرة، قاموسها ماثِلاً في الرمز والحرف والصورة واللون ومكان الوشم على الجسد؛ فيُمَوضِعُ الإستنطاق الأنثروبولوجي للصورة الوشمية رسماً، ويُمَكنُها من حضور فاعل في المجال الدقيق لأنثروبولوجيا الوشم العقابي، الذي يفتحُ أُفقاً خِصباً يتفاعل مع الصورة الوشمية بشكل يَخرُجُ بها من قيدِها كرَسمة على الجلد لتُصبحَ ثلاثية الأبعاد؛ هذه الثلاثية في التَّمدُد تُصيِّرُ الصورة بوشمِها شيفرة تختزنُ ترميزاً مُوحياً بالمشهد الذي عكستهُ سطحاً، فضلاً عن ذلك تُدرك الصورة الوشمية بوصفِها جينة تتكاثفُ فيها كل موروثات و صِبغيات اللحظة التي دُقَ فيها الوشم والتي يُعِيدُ فيها إنتاج المركب الحيوي صوراً بشكلٍ موشوم؛ هذه الصور (شكل 01) تُعدُ وثائق إلتقطناها كباحث مُكونين بها قاعدة تصوّيرية نَعبُرُ بها من الفوتوغرافيا الى أنثروبولوجيا الوشم العقابي عن طريق الحكاية والقصص الأنثروبولوجي .

إنّ مجال قراءة الصورة الوشمية لم نجِدهُ من قبل بحظٍ وافر ونحنُ الآن كباحث نخطوُ خُطوة جديدة للتعريف بفضاء أنثروبولوجي واعد، ماثِلاً في أنثروبولوجيا الوشم العقابي كما يُمثِلُ خُطوة تجديدية في مجال قراءة الصورة الوشمية؛ ونُبيِنُ حوار بين الصورة الوشمية وحكايتها كوسيلة، وبين المتأثِر بالمشهد الوشمي لها والذي يحمِلُ من السيميولوجيا حَملاً ترميزياً عَالِيَ الإيقاع، ومن الأنثروبولوجيا المرئية وسيلة للتوثيق هَدفُها أن تجعل الرُؤية الأنثروبولوجية مُتحرِرة من ثوب التقليد نحو عُبور لفضاء أنثروبولوجي جديد

يُحاول أن يُبرِز السرد الحكائي للصورة الوشمية والتي من الممكن أن تُفعِل ظهور تداعيات لفعل واقعي ولمعاناة إنسانية للسجين في دوائر الوسط العقابي وصولاً الى مُدركات عقلية من شأنها أن تُلبي الحاجة والرغبة وتحقيق عدالة الحياة الانسانية .

وتظلُ وُشوم الحيوان الأكثرُ حضوراً في مِخيال السجين، يتصدرُها الثّعبان ثم العقرب فالنّسر، وبعدها العنكبوت ورأس الصقر، والأفعى والنار والخناجر والسكاكين، والسّامُ فيها والكاسر قبل الوديعُ والأليف .

قاموس الكتابة الوشمية المشفرة لدى المساجين يعتمِدُ على معاني الشّدة والقوة، التّمرُد والتّخفي، المراودة والمناورة، المكر والخديعة، التّطاوُل والتّعدي، الإنتقام والتنكيل، الفِخاخ والتوريط، الوشاية والدّناءة، الذوبان والزّوال، وقد يكون من الوديع ما يقتُل وفيه دلالة الحُب الآسر، الفراق والوداع، النّسيان والتّناسي...، قاموس يحمِلُ وبصفة دائمة رموز الحياة ورموز الفناء .

عندما يُودعُ الإنسان بالسجن تتعطلُ لُغة الكلام لديه بسبب القيُود المعنوية والنفسية والاجتماعية، والرقابة المضروبة عليه والضّبط المطلق وفرضُ الصمت وكثرةُ الممنوعات حتى يَخال للبعض أن الحديث به ممنوعاً ولا يتم التخاطُب بين المساجين إلاّ بالإشارات ويبقى الحديث حِكراً على الحُراس فقط؛ من هنا تتعطلُ لُغة التواصل وتنشطُ لُغة الكتابة الوشمية المشفرة، وتتجلى ثقافة الدائرة العقابية بتمظهُراتها المبنية على حِرمان السجين وهو ما أُصطُلِحَ عليه بالتحييز حسب " جاك لِيُوت "؛ لقد أصبح الوشم لُغة مفهومة ذات مقاصِد واضحة بين جُلِ المساجين ولدى قِلة من حُراسِ الوسط العقابي، لأن المساجين في كل مرة يهتدون الى رمز مُعين يستعمِلونهُ نِيابة عن لُغة الكلمات ويُجسدونه في رسم يختصرون بهِ العديد من الجُمل أو يختزلون حواراً كاملاً في وشمة بعينها، إنّها لغة قائمة بذاتها تختزلُ قصص وتُعبر عن رغبات وتدُل على أنماط من الشخصيات، يتخاطب بها فئة الموشومين في صمت بعيداً عن لُغة الحروف والاشارات وحتى الايماءات الوجهية؛ الوشم أضحى لُغة عالمية مُوحدة بين مُعظم الشعوب ولكن لا يعرفها إلاّ المنخرطين في زُمرة الموشومين[7]؛ تُعتبر لُغة الوشم بقاموسِها المحدد للرغبة والنزوة والوضعية وحاجة السجين، نقشاً على جسد حُبِس الزمن عليه

بفعل ديمومة الوشم على الجلد بالرّغم من تغير الحال والزمان، فتبقى الصورة الوشمية مُلازمة للجسد حتى مع تغيُر أحوال السجين والزمان الذي أصبح فيه .

إنّ هذه الخربشات لتصميم غرافيتا جلدية بمثابة وثيقة تاريخية حافظة لموروث فئة من الشعب، وبطاقة تعريف تُحدد هوية حاملها على جلدهِ، فالمساجين يُعَايشون تجربة وُجودية يُجددون خِطابها على أجسامهم فتظهر عليها نواياهم ومقاصدهم ومعاناتهم في الحياة، فالوشم في الدائرة العقابية هو تعبير عن هوية السجين فيدلُ على إنتماء مُعين، وهو مُخالف للإتجاه العام للمجتمع، وهو تأكيد عن الذّات في محيط بالغ السلبية، ذلك التعبير الذي لا يمكن للسلطة العقابية أن تُصادرهُ مِثلما تُصادرُ أدوات ومُستلزمات الوشم .

إنّ الغرافيتا الجلدية على أجساد المساجين بمثابة وثيقة من القوانين والقواعد و أنظمة العلاقات والمشاعر والمعاناة والتي تحددها الرّسمة الوشمية وتُعبر بذلك عن نفسِها وعن حامِلها.

أماكن الجسد المقموع ومعاني الحفريات الوشمية :

الانسان ليس منتوج جسدهِ فقط، بل يُنتج بنفسهِ مزايا جسده، وذلك بتفاعله مع الآخرين وبغوصِهِ في الحقل الرمزي، هكذا تشكلت الجسدية إجتماعياً، فإنبثقت تدريجياً سوسيولوجيا الجسد[8] مع إختلاطِنا في تبادلية الفعل .

في سنة 1959، وفي مقال ممتاز، عالج " روبرت هرتز " مسألة رِفعة اليد اليُمنى داخل المجتمعات الانسانية ، فالتعارض والتقابل ليس فقط فيزيقياً مادياً، ولكنه كذلك معنوي، فالأيسر يقتضي العَي والتّلبُك، الإنحراف والخداع والقُبح، والأيمن يستدعي الحذق، الإستقامة الشجاعة.....

إنّ المفاضلة الدينية بين المقدس والمدنس تبدو بكل شفافية؛ إذا كان الأيمن أو اليمين قيمة للتعالي والرّفعة، فإن اليسار تهديد بالرّجس، فالإمتياز الممنوح لليد اليمنى راجع بالأساس الى أهمية هذه البنية الأنثروبولوجية الأساسية[9].

إنّ القيمة أساسة لمواضع الوشم على أماكن الجسد المقموع للسجين، فاللغة الوشمية سياقها في إيلاء اليدين والبدن و وجه الانسان مكانة في ترتيب المفاضلة في نقش الحفريات الوشمية على الجسد، فالوجه مُقدس ورغبة السجين في إستعماله لتعبيرة خاصة، يكون بدقة متناهية تفوق

إبداع الواشم في تحقيق براعته، فعلُ الدقِ على الوجه يفوق وطأة الإحساس بألم الوخز على الجلد .

الوجه له مكانة خاصة في مجموع صور الجسد، إنّهُ الجزء الأكثر تعبيراً في الجسد، وهو المرئي لكل العالم، وإستناداً لـ " فرنسوا شيرباز " فالوجه هو ما يُعطي معنى لكمال الجسد، إذ يُعَدُ الوجه مكان الحضور وخصوصية وفردانية الجسد[10].

لقد إستُخدِم الوجه أكثر من أي جزء آخر في الجسد كوسيط يُترجِمُ تعبيرات الانسان، حيث يستخدم الانسان بوجههِ الابتسامات والايماءات والغمزات لِغرض التعبير عن كثير من الأمور التي تنتابهُ؛ لذلك يُمثِلُ الوجه رمزية عالية تختزِلُ الجسد بهِ، وقد لا يعني ذلك إنتِفَاء أهمية الجسد بأعضائهِ الأُخرى، وإنّما أهمية الوجه من ناحية رُؤية العالم والتناغُم معه[11].

لقد أصبح الجسد يُشير في أعضائِهِ الى جوانب إستعارة والى رُموز إجتماعية مُتعددة، فكثير من أمور الحياة في المجتمع قد تَمت إستعارتُها من أعضاء الجسد والاشارة إليها .

إنّ أماكن الجسد المقموع للسجين مُختارة وبعناية فائقة لِتَرتَسِمَ عليها حفريات وشمية لديها دلالات تُولِّدُ المعنى، وخزة الألم تُولدُ النُقطة الموشومة، وحِفرية النُقطة على الجسد المِنقوش لها دلالة؛ فَرَسمُ النقطة عند السجين بجانب الأنف تُشير الى الأَنفة والاعتزاز بالذّات، وقد توضع النقطة الموشومة تحت شحمة الأُذُن علامة على أنّ حاملها قليل العناية بالقيل والقال وأمين على السّر ولسانهُ يعرف أمانة الكلام وأسرار الخلق، وقد تكون خضراء اللون (النقطة الوشمية) بجانب الفم دلالة على عدم الوِشاية بمن يُخالط أو يُصاحب، وقد تُوضع بجانب العين دلالة على بيع الهوى للنساء الباغيات (مهنة تشغيل النساء بالبغاء السري) وقد توضع النقطة الوشمية على الخد الأيسر ودلالتها بلُغة المساجين " حافظ الميم " بمعنى لا يُدلي ولا يُصرح بأي معلومة يعرفها، ويمكن للسجين تغيير الأمكنة الوشمية على الجسد؛ فتكون النقطة بإخضرارها على مِعصم اليد اليُسرى ولديها معنى غريب يدل على الوحدة والاغتراب وبِلُغة السجين (لا صاحب، لا أخ، لا حبيب، وحدي ديما وحدي) أي بمعنى هذه النقطة تدل على أنّهُ مَنسي من طرف أهله وأحبابه لما دخل السجن وأطال الحياة فيه، ومن تأويل النقطة الوشمية الى النقطتان على مِرفقي اليد ولديها دلالة بلُغة المساجين " الداخل

مفقود والخارج مولود " أي مَن يدخل السجن لا يعلم إن كان سيخرج منه ميتاً أم حياً؛ قاموس السجين المقموع في الوسط العقابي يُوحِدُ علاماته ويُقنِن وشمة ثلاثية للنقاط الجارحة يُعلنُ بها تمرّداً على الروابط الدينية والأُسرية والاجتماعية بالعصيانِ للّه الخالق وللوالدين، إنّه عالم السجن بقيمهِ ومعاييرهِ و نظامهِ الاجتماعي الخاص، نمط تفكيرمُختلف يحمل من روح الانتقامية والتمرّد ما يجعله مُغاير للنظام والسيرورة الانسانية؛ وللنقاط الوشمية ذات البُعد الرابع في العَدِ والمعنى دلالة في اللّغة الوشمية الصامتة، وحسب فقه السجين النابع من الدائرة العقابية " لا دار، لا دوار، لاَ بَنية، لا بُروار " بمعنى ، (لا أهل ولا عشيرة ولا تكرُم ولا زوار) .

ويصل تعداد النقاط الوشمية الجارحة الى ست أو ثمانٍ من النقاط أو ست عشرة نُقطة في شكل نجمة ومعناها أن حامِلها يرزح تحت حُكم طويل الأمد وقد يكون مدى الحياة .

ومن الوشمة كنقطة الى الصناعة الوشمية التي تُحول النقطة الجارحة بتعدُدِها وتراسِها بالجنب الى حرف أو كلمة أو علامة أو صورة بكل وجَاهَتِهَا؛ إبداع يُحولُ الخربشة بالنقاط على الجلد الآدمي الى غرافيتا جلدية توثِقُ لثقافة شعبية و تُأرِخُ لقصة إنسانية أو موقف سجين مقموع .

إنّ قداسة اللّغة العربية في فقه الوسط العقابي تجعل السجين يبتعِدُ عن الحرف العربي في كتاباته الوشمية؛ فغائية البُعد الديني للمسجون تجعله لا يكتب اللّغة الوشمية بالحرف القرآني ما عدا إسم الجلالة " اللّه " ؛ تتعدَد هي الكلمات والرموز والعلامات والأحرف في الصناعة الوشمية لدى السجناء؛ فعبارة "كل شيء مُمكِن " المكتوبة بالحرف والعبارة الفرنسية، وشمة يضعُها مَن تمّرد على العُرف الانساني والقانون الجزائي وإرتكب الفعل المحرّم بمُختلف أنواع الجُرم، فيصِلُ الى قناعة كل شيء مُمكِن؛ الباب مفتوح تجاه الجريمة والانحراف ضد أي شخص وفي أي وقت .

الشكل رقم 01

الشكل رقم 02

إنّ إختصار الرسم الوشمي في أشكال صور تُعبر عن معنى كالشكل رقم 02 والذي يشرح معناه سجين حديث عهد بالوسط العقابي ويقول " أنا عاشق للحرية، غايتي العيش الجميل كزهرة الفُل أو أموت وأقضي على الناس الكل، ليس عندي حدود للقانون ولا إعتبار للدين بحرامهِ، كل شيء مُباح حتى أبلُغَ الليالي المِلاح " تمّرد صارخ على القانون والعرف والدين .

الشكل رقم 03

وقد يكون الاختصار في الكلمة بحرفها الاول لكتابة جملة لديها معنى طويل الشرح وبعيد المشار، فكما هو مُشكّل في الصورة رقم 01 ، الحروف المكتوبة بالعبارة والحرف الفرنسي وكما بيّنا سابقاً أن الحرف العربي يتجنبُهُ السجين الجزائري في العملية الوشمية لِقدسيتهِ في مخيال ساكِن الفضاء العقابي، فمعنى الصورة الوشمية؛ الاختصار الى الحرف، الأم قبل كل شيء وهناك قراءة أُخرى، أنا قبل كل شيء و طليقُ السجن هنا يروي قصة أُمهِ كيف كانت تصَارع المحال كي تُوفِر ثمن الزاد الذي تُحضِرُهُ الى السجن من غير ما نسيان لمشقةِ السفر وإنتظار دور الزيارة الى إبنها، أمّا صورة بيت العنكبوت فدلالة على قُدرة العيش في أي مكان وفي أي زمان، وهذا الخط الرفيع على المرفق دلالة على عدم التوقف عن السرقة والتّمرد حتى قطعِ اليد .

المعنى واحد ولكن هندسة الصورة الوشمية تختلف، هذا هو إبداع الواشم في النقش على الأدمة الجلدية للجسد، تشابه في المعنى لأبعاد الصورة الوشمية وإختلاف في الرّسمة على يدِ السجين ونلاحظ ذلك بادياً في الشكل رقم 04 والشكل رقم 01

الشكل رقم 04

ومن الأشكال الموشومة ما تعدد ومن الصور الوشمية ما تنوع، تنوُع بقراءاته وتنوع بإيحاءاته وإيماءاتهِ، هذا التنوّع تُحَدِدُهُ الرّغبة في إشباع الحاجة، وتُوجههُ المعاناة والحرمان، ويُغذيه التحدي والتّمرُد، ويُحتِمُهُ الكِفاح ضد النّسيان والتجاهُل، وتستَهويه المناسبة أو الذكرى أو التخليد، وتستوقِفُهُ الحادِثة أو الفاجعة، و تُؤثِر في هذا التّنوع الوشمي للسجين رغبة الجموح نحو الفضول وحُب التجريب .

ونخلُص في ما سُقناهُ الى القارئ؛ بأن الوشم تعبيرة من تعبيرات اللّغة الوشمية الصامتة، والتي قاموسها بسحرِهِ يجعل من الأجساد السجينة صرمدية التّشابُه في صوغِها، فالصورة الوشمية حَرَكِيٌ فاعل في الفضاء الدقيق لأُنثروبولوجيا الوشم العقابي، فالصورة بِوشمِها شيفرة تختزِنُ ترميزاً مُوحياً بالمشهد، ليصنع الحكاية والقصص الأنثروبولوجي للحياة العقابية .

المراجع المعتمدة :

2_ أمزيان وناس، لغة الوشم في الوسط العقابي، مجلة العلوم الانسانية والاجتماعية، العدد11، 2013، جامعة باتنة الجزائر .

3_ قانون تنظيم السجون وإعادة الادماج الاجتماعي للمحبوسين لسنة 2005، المادة رقم 25.

4_ محسن بوعزيزي، العدالة في عيون السجناء ، مجلة عمران للعلوم الاجتماعية والانسانية، العدد5، المجلد الثاني، صيف 2013 .

6_ BRUNNEY P (1979) le tatouage , cahier medicale, PARIS, p 15

7_ أمزيان وناس، لغة الوشم في الوسط العقابي ، مجلة العلوم الانسانية والاجتماعية، العدد11، 2013، جامعة باتنة الجزائر .

8_ دافيد لوبروتون، سوسيولوجيا الجسد، ترجمة عياد أبلال وإدريس المحمدي، القاهرة، روافد النشر والتوزيع، ط1، 2013، ص 37 .

9_ R .HERTZ , la preeminence de la main droit . Etude sur la polarite religieuse , Sociologie religieuse et FOLKLORE , Paris , PUF, 1975 , P 86 .

10_ سمية بيدون، فلسفة الجسد، بيروت، دار التنوير للطباعة والنشر والتوزيع، 2009، ص 99 .

11_ مازن مرسول محمد، حفريات في الجسد المقموع، ط1، منشورات الاختلاف، الجزائر، 2015، ص 113.